

ذكر الموت وموقف المسلم من الروايات الإسرائيلية

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، قال -رحمه الله تعالى- حدثنا الوليد بن أبان قال: حدثنا محمد بن أيوب قال: أخبرنا التبوذكي قال: حدثنا حماد قال: حدثنا أبو عمران الجوني عن عبد الله بن رباح أن كعبا رحمه الله تعالى قال: إن إبراهيم خليل الله تبارك وتعالى دخل بيت عيادته الذي كان يتعبد فيه فرأى فيه رجلا فقال: ما أدخلك هاهنا؟ بإذن من دخلت؟ قال: بإذن ربي قال إبراهيم: فهو أحق به قال: قَمَحْنُ أَيْتُ قال: أنا ملك الموت، قال له: كذبت إن ملك الموت له علامة يعرف بها قال: فحول ملك الموت عليه السلام وجهه وقلب ففاه فإذا عيناه في قفاه تزهوان فكلح في وجهه فخر إبراهيم مغشيا عليه، فلما ذهب ملك الموت أفاق ثم عرض له مرة أخرى في هيئة رجل ضعيف فجعل يمشي معه وهو أخذ بيده فدعا إبراهيم عليه السلام دعوة لأهل السماء والأرض فلما دخل الدار وفي الدار سارة عليها السلام وإسحاق عليه السلام فلما رآه إسحاق عليه السلام عرف أنه ملك الموت عليه السلام، ثم قام ملك الموت فبكى إسحاق و سارة ثم بكى إبراهيم ثم بكى ملك الموت فذهب فأقبل إبراهيم على إسحاق وسارة فقال: بكنما حتى بكى الضيف وبكى وذهب. قال إسحاق: يا ابنت ليس بصيف ولكنه ملك الموت عليه السلام، لو علمت أنه يريدني أو يريد أمي ما بكيت ولكني ظننت إنما يريدك ففرح ملك الموت إلى السماء فقال: أي رب جئتكم من عند عبد لك ما في الأرض بعده خير، لقد دعا بدعوة لأهل السماء والأرض. فقال الله تبارك وتعالى: أنا أعلم بعبدى أذهب فاقبض روحه فنزل في هيئة شيخ كبير فدخل حانطا فيه عنب فجعل يأكل عنبا وماء العنب يسيل على لحيته فجعل إبراهيم صلى الله عليه وسلم ينظر إليه فقال: يا عبد الله كم أتى عليك فذكر مثل سن إبراهيم فأشبهني إبراهيم الموت فشمه شمة فقبض روحه صلى الله عليه وسلم. قال: حدثنا الوليد قال: حدثنا عمرو بن سعيد قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي قال: حدثنا إبراهيم بن أبي بكر بن أبي المنكدر قال: سمعت محمد بن المنكدر -رحمه الله تعالى- يقول: كان إبراهيم الخليل عليه السلام من أغبر الناس فكان لا يدخل داره، فبينما هو يوما في داره إذ دخل عليه كهينة الإنسان فقال له إبراهيم من أدخلك داري؟ قال: أدخلني رها قال: وهل لها رب غيري؟ قال: فعرف حينئذ أنه ملك الموت فقال: إن الخليل يحب لقاء خليله وأمري أن أقبض نفسك بأيسر ما قبضت نفس مؤمن. قال: فإني أسألك بحق الذي أرسلك أن تراجع له لي، فصعد ملك الموت حتى وقف من فوق الموقف الذي كان يقفه، فقال: إن خليلك سألني أن أراك في مكانك، فقبضت نفسي مؤمن. قال: فإني أسألك بحق الذي أرسلك أن تراجع له لي، فقبضت نفسي مؤمن. قال: وهكذا تأتي إلى كل من تريد أن تقبض نفسه قال: لا، قال: فأرني صورتك التي تأتي بها الكافر قال: فقبض عينك ثم قال: افتح رقبك فإذا هو الخليل يحب أن يلقى خليله وأمري أن أقبض نفسك بأيسر ما قبضت نفس مؤمن. قال: حدثنا محمد بن رافع قال: سمعت محمد بن المنكدر -رحمه الله تعالى- يقول: كان إبراهيم الخليل عليه السلام من أغبر الناس فكان لا يدخل داره، فبينما هو يوما في داره إذ دخل عليه ما شربت شرابا قط، فاستنكفه فقبض نفسه على ذلك. قال: حدثنا أحمد بن محمد بن شريح قال: حدثنا محمد بن رافع النيسابوري قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم قال: حدثني عبد الصمد أنه سمع وهبا رحمه الله تعالى يقول: إن رجلا كان يدعو لملك الشمس عليه السلام فدأب ذلك زمانا حتى أتاه ملك الشمس فقال: ما تريد بدعائك لملك الشمس الذي تدعو له؟ قال: حاجة لي إليه قال: ما حاجتك إليه فإني أتك وتتركه هنالك قال: انطلق، فلا أتك تجده إلا وقد مات فرجع إليه وأمكن الملائكة عند ملك الموت عليه السلام فاشفع لي إليه. قال: نعم أنا مكلمه لك فما يستطيع أن يفعل لأحد من بني آدم فهو فاعله لك، ثم حمله ملك الشمس بين جناحيه فوضعه عند مطلع الشمس ثم أتى ملك الموت عليه السلام فقال: حاجة لي إليك قال: أفعل كل شيء أستطيعه. قال: صدق لي من بني آدم تنفع بي إليك لتؤخر من أجله قال: ليس ذلك إلي وما أستطيعه، ولكن إن أحببت أن أعلمك أجله متى هو وتوفىم في نفسه ففعلت قال: نعم أخبره بهذا فنظر في ديوانه فأخبره باسمه، فقال: قد كلمتني في إنسان ما أراه يموت أخذا قال: وكيف قال: لا أجده يموت إلا عند مطلع الشمس قال: فإني أتتك وترتكبه هنالك قال: انطلق، فلا أتك تجده إلا وقد مات فرجع إليه فوجدته ميتا. قال: حدثنا أحمد بن محمد بن شريح قال: حدثنا محمد بن رافع قال: حدثنا إسماعيل قال: حدثني عبد الصمد قال: سمعت وهبا رحمه الله تعالى يقول: إن رجلا كان يدعو لملك الموت عليه السلام دأبا حتى جأه فصادفه قال: ما حاجتك إلي؟ قال: أحرُّ أجلي قال: لا أقرر على ذلك ولكن سأعلمك عند موته متى يموت، فلما دنا أجله أخبره فقال: إنك ميت إلى ثلاثة أيام فاشتكى الرجل فلما كان يوم الثالث أتى بعالم له -أي الذي قال له ملك الموت: إنك ميت إلى ثلاثة أيام- طباح، فأضجعه مكانه على الفراش الذي كان عليه وأحنا في مكان الطباح الذي كان فيه حيث كان يخبر، فأنى ذلك الرجل من يتوفاه فقال له الرجل: ما تريد بيدي؟ وهو ذاك في البيت قال: ما عبد الله بن عمر قال: حدثنا عبد الصمد قال: حدثنا حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير رضي الله عنه في قوله عز وجل: { وَمَا يُعْمَرْ مِنْ مَعْمَرٍ وَلَا يُقْتَلُ مِنْ قَتْلٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ } قال في أول الصحيفة مكتوب عمره، ثم يكتب بعد ذلك ذهاب يوم حتى يأتي على أجله. قال: حدثنا محمد بن جعفر بن الهيثم وحجبي بن عبد الله قالا حدثنا سلمة قال: حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة رحمه الله تعالى: { تَوَفَّيْتُهُ رُشُلًا } قال: تلي قبضا الرسل ثم ندعها إليه يعني ملك الموت قال: معمر وقال: غيره إن ملك الموت يلي ذلك فيدفعه إن كان مؤمنا إلى ملائكة الرحمة، وإن كان كافرا إلى ملائكة العذاب. قال: حدثنا محمد بن زكريا قال: حدثنا أبو حذيفة قال: حدثنا سفيان عن منصور عن إبراهيم رحمه الله تعالى قال: أعوان ملك الموت، ثم قبضها ملك الموت منهم بعد. قال: حدثنا محمد بن زكريا قال: حدثنا أبو حذيفة قال: حدثنا سفيان عن الحسن بن عبد الله عن إبراهيم رحمه الله تعالى { تَوَفَّيْتُهُ رُشُلًا } قال: ملك الموت صلى الله عليه وسلم. قال: حدثنا علي بن رستم قال: حدثنا عبد الله بن عمر قال: حدثنا الصغيرة بن سلمة قال: حدثنا عبد الواحد بن زياد قال: حدثنا الحسن بن عبد الله قال: سمعت إبراهيم رحمه الله تعالى يقول في هذه الآية: { تَوَفَّيْتُهُ رُشُلًا وَهَمْ لَا يُقَرَّطُونَ } قال: ابن عباس رضي الله عنهما أعوان ملك الموت صلى الله عليه وسلم . قال: حدثنا علي بن رستم قال: حدثنا عبد الله قال: حدثنا كثير بن هشام قال: حدثنا جعفر بن برقان قال: حدثنا يزيد بن الأصم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب. قال: حدثنا علي قال: حدثنا عبد الله قال: حدثنا عبد الله بن عبد المجيد الحنفي قال: حدثنا إسرائيل عن أبي يحيى الطنابجي عن مجاهد رحمه الله تعالى في قوله تعالى: { رَبَّتِ الْمَثُونُ } قال: الموت. قال: حدثنا علي قال: حدثنا عبد الله قال: حدثنا الطالقاني قال: حدثنا ابن المبارك عن عبد الله بن شوذب عن رجل عن جابر بن زيد عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: { أَوْ حَلَقًا مِمَّا يَكْتُمُونَ فِي صُدُورِهِمْ } قال: الموت. قال: حدثنا علي قال: حدثنا عبد الله قال: حدثنا علي بن رستم قال: حدثنا عبد الله قال: حدثنا أبو حذيفة قال: حدثنا سفيان عن منصور عن إبراهيم رحمه الله تعالى قال: أعوان ملك الموت، ثم قبضها ملك الموت منهم بعد. قال: حدثنا محمد بن زكريا قال: حدثنا أبو حذيفة قال: حدثنا سفيان عن الحسن بن عبد الله عن إبراهيم رحمه الله تعالى { تَوَفَّيْتُهُ رُشُلًا } قال: ملك الموت صلى الله عليه وسلم. قال: حدثنا علي بن رستم قال: حدثنا عبد الله بن عمر قال: حدثنا الصغيرة بن سلمة قال: حدثنا عبد الواحد بن زياد قال: حدثنا الحسن بن عبد الله قال: سمعت إبراهيم رحمه الله تعالى يقول في هذه الآية: { تَوَفَّيْتُهُ رُشُلًا وَهَمْ لَا يُقَرَّطُونَ } قال: ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل: { وَمَا تُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تَخَوْفًا } قال: الموت. قال: حدثنا أحمد بن عبد الله بن سابور قال: حدثنا محمد بن أبي معشر قال: حدثني أبي عن محمد بن كعب رحمه الله تعالى في قوله: { وَتَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ } قال: من كل عضو ومفصل. هذه آثار تتعلق بالموت أما القصاص التي رويت عن أهل الكتاب فإنها ليست ثابتة، ولا محققة النبوت كعب الأخبار بأخذ عن الكتب الإسرائيلية وفيها أشياء كثيرة محرفة أو مكذوبة لم تثبت، فلذلك لا يقبل كل ما جاء عن وهب بن منبه أو عن كعب الأحبار أو عن غيرهما من الذين يروون عن الكتب الإسرائيلية، ولكن تصدق بما ثبت عندنا. فقصة نزول ملك الموت على إبراهيم ودخوله في بيته، ورؤيته له في صورة، ثم صورة أخرى، وكذلك صعوده به، صعود ملك الشمس بإبراهيم إلى أن وصل إلى الشمس، ثم شفاعته عند ملك الموت في أن يؤخره، ثم قبضه وهو عند الشمس، ما أطن شيئا من ذلك ثابتا، بل هو من الكتب الإسرائيلية. وقد ذُكر إن قبر إبراهيم عليه السلام معروف بالشام في تلك الجهات، وقبر إسماعيل لا شك أنه ذُفِنَ في مكة؛ لأنه هو وأمه في مكة والناثبات الذي في الصحيح قصة دخول أو استئذان الملك- ملك الموت- على موسى فإن هذا في الصحيح أن الله تعالى أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام لقبض روحه، فلما رأى الملك في بيته لطمه، وبقا عينه، وذلك لأنه تصور بصورة إنسان، فلما فقا عينه صعد الملك، رد الله تعالى إليه عينه، وقال المَلَكُ: إنك أرسلتني إلى بشر لا يريد الموت، وهو موسى ! فقال الله تعالى لملك الموت: قل له: يصع يده على ظهر ثور، فله أن يعيش بكل شعرة تغطيها يده سنة. فقال موسى ثم ماذا؟ قال: ثم الموت، فقالن! فسأل ربه أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر، فإذناه ودفن في الأرض، أو قربب الأرض المقدسة وذكر النبي صلى الله عليه وسلم أنه مدفون هناك. ويذكر بعض أهل القصص أنه معروف قبره، ولكن الصحيح أنه لا يُعْرَفُ قبر أحد من الأنبياء إلا ما ذكر عن قبر إبراهيم عليه السلام. قال العلماء: إن هذا من جملة ما يجب تصديقه. حمل بعض الشراح على أن موسى لما رأى ملك الموت داخل بيته بدون إذن ظن أنه يتطلع في بيته، وينظر في أسرار بيته، فحذقه، إما بيده، وأما بحجر، فقفا عينه، وقد أبيع ذلك. ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: { لو أن رجلا اطلع على قوم ففقتوا عينه لم يكن عليهم جناح } فيمكن أن موسى طن أن هذا يتطلع في بيته، وأنه ينظر في أسراره وقفا بحيفه لطمه؛ لأن الاستئذان جعل من أجل البصر، ومع ذلك لما علم بأنه ملك الموت مرة أخرى حضع لذلك، وعلم بأن الله تعالى كتب عليه الموت كما كتب على غيره، فقد ذكر أن موسى وهارون كلاهما ماتا في التيه الذي كانوا فيه بعدما خرجوا من مصر في قوله تعالى: { فَإِنَّهَا مَحْرَمَةٌ عَلَيْهِمْ رَبِّعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ } ففي تلك المدة توفي نبي الله موسى وهارون. لا شك أن الموت مكتوب على كل بشر، يقول تعالى: { كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ } وأن الموت الذي كتبه الله هو مفارقة الروح لهذا الجسد فإذا فارقت حصل الموت، فموت الروح فرافقه للجسد، وموت الجسد خروج الروح منه، وقد أخبر تعالى بقوله: { كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ } وقد عرف أيضا أن هذا الموت مخلوق من مخلوقات الله تعالى ليس لنا المؤمن يتبدد عليه الموت؛ ليكون ذلك تكفيرا لسنياته، وبذلك فسير الحديث الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم: { المؤمن يموت بعرق الجبين } يعني: أنه يموت موتا شديدا يُعَقِّرُ منه جبينه، وإن كان هذا الحديث له عدة احتمالات. وقد ثبت أيضا أنه صلى الله عليه وسلم لما تَوَفَّى لم يكن هناك شدة نزع، وإنما كان منكئا على زوجته عائشة فلم تشعر إلا وقد خرجت روحه بعد قوله: { اللهم فالريق الأعلى } ثم قضى. وعلى كل حال فإننا نعتقد أن كل مخلوق من مخلوقات الله من الجن والإنس فإن مآلهم إلى الموت، وأن الموت هو أكبر شيء وأهل شيء يتصورونه، قد فسر بذلك قول الله تعالى: { وَمَا تُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تَخَوْفًا } كما ذكر في هذا الأثر، أي: من الآيات التي يرسلها الله تعالى تخويفا لنوع الإنسان هذا الموت، يعني أنه يقبض الإنسان بين أهله، وبين أولاده وأخوته، وهم يشاهدونه ولا يستطيعون ردَّ روحه، كما قال الله تعالى: { فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ عَيْرَ دَرَجَاتٍ لَرَفَعْنَاهُ بِكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } أي: إذا كنتم تدعون أنكم غير مدنيين، أي: غير محاسبين، فردوا هذه الروح بعدما تخرج، أي لا تستطيعون ذلك.